Journal Of the Iraqia University (74-4) November (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

التطورات الحضارية في العراق في عهد الخليفة العباسي المستنصر بالله

(٦٢٣- ٦٤٠ هـ/ ١٢٢٦- ١٤٤٢م)

م م عبد المناف محمد جاسم

جامعة تكريت / كلية التربية للبنات

Civilizational developments in Iraq during the reign of the Abbasid Caliph Al-Mustansir Billah (623-640/1226-1442 AD)

M M Abdul Manaf Mohammed Jassim
Tikrit University College of Education for Girls
Mail: AbdAlmunaf.Mohammed@tu.edu.iq

الملخص

المستنصر بالله ابو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله. ولد المستنصر بالله في صفر سنة (٥٨٨هـ/١١٩٣م) ان جده الناصر يلقبه "القاضي" لرزانة عقله. بُويع بالخلافة في بغداد بعد وفاة والده في رجب سنة (٦٢٣هـ). وكان من صفاته نشر العدل بين الرعية، وبذل وقرّب أهل العلم والدين، وعمر المساجد والمدارس والمشافي، في خلال حكم الخليفة الظاهر القصير الامد التهمت النيران قبة الكاظمين، فبدأ الخليفة بإعادة بنائها، غير ان المنية عاجلته في السنة التالية، فأتم ابنه المستنصر الذي تولى الخلافة بعده عمل أبيه. ومن أهم اعماله الثقافية العمرانية مباشرته سنة (٦٢٥ هـ/ ١٢٢٧ م) ببناء المدرسة المستنصرية على شاطئ دجلة، مما يلي دار الخلافة وحشد لها البنائين والفنيين فاستمر العمل فيها لمدة ست سنوات وكانت تكلفتها المادية كبيرة جداً، وكذلك بناء المدرسة الشرابية وهي من مدارس بغداد التاريخية . يعود تأسيسها إلى العصر العباسي الاخير، وكانت تقع في الجانب الشرقي، وتحديداً في سوق السلطان. شيدها السيد "شمس الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد"، وكيل الخليفة المستنصر بالله. تقع على ضفاف نهر دجلة في الجانب الشرقي من بغداد، وقام ببناء الربط والخانات والقناطر في الطرقات في جميع طرق الخلافة، وقد عمل بكل محلة من محال بغداد دار ضيافة ، وقد اوقف كتبا نفيسة على المدرسة المستنصرية. والمستنصر بالله في دورة الخلافة العباسية هو الخليفة السادس والثلاثون له مآثر عمرانية وثقافية كثيرة خالدة سأحاول جمعها وترتيبها زمنيا وفقا للنصوص التاريخية المكتوبة عن حياة هذا الخليفة.

توفي المستنصر بالله في العاشر من جمادي الاخر من عام (٦٤٠ هـ) فكان عمره ثلاثا وخمسين سنة.**الكلمات المفتاحية:** العصر العباسي، المستنصرية، الشرابية، مارستان، قبة الكاظمين.

Abstract

Al-Mustansir Billah Abu Jaafar Mansur bin Al-Zahir bi-Amr Allah. Al-Mustansir Billah was born in Safar of the year (588 AH) to a Turkish slave girl. His grandfather Al-Nasir called him "the judge" because of his intelligence. He was pledged allegiance to the Caliphate in Baghdad after the death of his father in Rajab of the year (623 AH). He spread justice among the people, and applied fairness in cases, and brought people of knowledge and religion closer, and built mosques, schools and hospitals. During the short-lived rule of Caliph Al-Zahir, a fire devoured the Dome of Al-Kadhimiya, so the Caliph began to rebuild it, but death overtook him the following year, and his son Al-Mustansir, who assumed the Caliphate after him, completed his father's work. Among his most important cultural and urban works was his undertaking in the year (625 AH / 1227 AD) to build the Mustansiriya School on the banks of the Tigris, next to the Caliphate House, and he mobilized builders and technicians for it. Work on it continued diligently and actively for about six years, during which the cost of it amounted to seven hundred thousand dinars, which is a huge amount if we know the purchasing power of the dinar at that time, as the highest employee in it received twelve dinars. He also built the Sharabiya School: a historical school in Baghdad. Its foundation dates back to the Abbasid era, and it was located on the

eastern side, specifically in the Sultan Market. It was built by Shams al-Din Abu al-Azhar Ahmad bin al-Naqid, the agent of the Caliph al-Mustansir Billah, in the year 1230. It is currently located on the banks of the Tigris River on the eastern side of Baghdad at the southern corner. He used to build bridges, arches, inns and arches on the roads from all sides, and he worked in every neighborhood of Baghdad as a guest house for the poor, especially in the month of Ramadan, and he endowed valuable books to the Mustansiriya School. Al-Mustansir Billah was the thirty-sixth caliph of the Abbasid Caliphate. He had many immortal architectural and cultural achievements that I will try to collect and arrange chronologically according to the historical texts written about the life of this caliph. Al-Mustansir Billah died on the tenth of Jumada al-Akhira in the year (640 AH), so he was fifty-three years old.**Keywords**: Abbasid era, Al-Mustansiriya, Al-Sharabia, Hospital, Al-Kadhimiya Dome.

المقدمة

تأسست الخلافة العباسية بعد مبايعة أبي العباس عبد الله السفاح، الذي كان أول خلفاء بني العباس، في عام ١٣٢ هـ، واستمرت حتى مقتل أبي أحمد عبد الله المستعصم، آخر خلفاء بني العباس، على يد هولاكو التتري في عام ٦٥٦ هـ. وبالتالي، فإن عمر دولة الخلافة العباسية بلغ ٥٢٤ سنة.مرت الخلافة العباسية بمراحل متعددة، حيث تمثل المرحلة الأولى القوة والازدهار، بينما تعكس المرحلة الأخرى عصر التفكك والانهيار، الذي قسمه المؤرخون إلى أربع عصور. بدأ العصر الأخير والأخيرة من الخلافة العباسية حوالي عام ٥٩٠ هـ، خلال النصف الثاني من حكم "الناصر لدين الله، الذي استمر نحو ٤٧ سنة"، مثلت مرحلة الانتعاش واستعادة مكانة الخلافة حتى مجيء، المغول في عام ٦٥٦ هـ. خلال هذه الحقبة، تولى ثلاثة خلفاء غير الناصر، وتعرف هذه المرحلة بعصر عودة نفوذ الخلفاء، وقد شهد العالم الإسلامي لاسيما بغداد مرحلة من استعادة السلطة المركزية التي انعكست على قوة المجتمع وانتعاش الجانب السياسي والاقتصادي والحضاري ولا سيما عهد الخليفة المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ)، الذي أهتم في الجانب العمراني فبنى المدارس ونظم الزراعة والاقتصاد بشكل عام –لهذا جاء هذا البحث لدراسة جهود هذا الخليفة وبيان اهم ما ظهر في عهده من مميزات إذ قسمت هذه الدراسة الى عدة محاور منها:أولاً: التعريف بالخليفة المستنصر بالله، وثانياً أهم المنجزات الحضارية في عهده، فضلاً عن الخاتمة وقائمة المصادر التي تم الاعتماد عليها مثل كتاب الكامل في التاريخ –لابن الاثير (ت:٦٣٠هـ)، وكتاب خلاصة الذهب المسبوك، للأربلي (ت:٧١٧هـ)، وكتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي (ت:٩١١هـ) وغيرها.

الخليفة العباسي المستنصر بالله

اسمه ونسبه وكنيته:المستنصر بالله: أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله. ولد المستنصر بالله في صفر سنة (٥٨٨هـ/١١٩٣م) والدته تركية الأصل يقال إن أسمها شيرين (ابن الأثير، ١٩٦٥، ص ٢٣٣)، كان جده الناصر يسميه "القاضي" لكبر عقله وذكائه (الاربلي، ١٩٦٤، ص١٥٥).

بيعته للخلافة:بُويع بالخلافة في بغداد بعد وفاة الخليفة الظاهر بأمر الله في رجب سنة (٦٢٣هـ/١٢٣٥م). وقد عمل على اقامة العدل بين الرعية، وكرم أهل العلم والدين، وشيد المساجد والمدارس والبيمارستانات وجمع الجيوش لنصرة دين الله، كما بنى "المدرسة المستنصرية" في بغداد على شط دجلة من الجانب الشرقي ورتب فيها الرواتب الحسنة لأهل العلم. وقام منار الدين وقمع المتمردة ونشر السنن وكف الفتن وحمل الناس على أقوم سنن وقام بأمر الجهاد أحسن قيام وجمع الجيوش لنصرة الإسلام وحفظ الثغور وافتتح الحصون. وقال الموفق عبد اللطيف: بويع أبو جعفر فسار السيرة الجميلة وعمر طرق المعروف الدائرة وأقام شعار الدين ومنار الإسلام واجتمعت القلوب على محبته والألسن على مدحه ولم يجد أحد من المتعنتة فيه معاباً. وكان جده الناصر يقربه ويسميه القاضي لهداه وعقله وإنكار ما يجده من المنكر. وقال الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري:" كان المستنصر راغباً في فعل الخير مجتهداً في تكثير البر وله في ذلك آثار جميلة (السيوطي، ١٩٨٣، ص ٤٥).

أهم المنجزات الحضارية في العراق في عهده قال ابن النجار: بويع له بعد موت ابيه، فنشر العدل في الرعايا، وبذل الانصاف في القضايا، وقرب أهل العلم والدين، وبنى المساجد والربط والمدارس والمارستانات، وأقام منار الدين، وقمع المتمردة، ونشر السنن، وكف الفتن، وحمل الناس على أقوم سنن، وقام بأمر الجهاد أحسن قيام، وجمع الجيوش لنصرة الاسلام، وحفظ الثغور، وافتتح الحصون (ابن الطقطقي، ١٩٦٠، ص ٢١).

والخليفة المستنصر بالله بعد ذلك كان يحب العلم والعلماء وطلابه وفي أيامه كثر الاشتغال بالعلم وتجويد الخط والكتابة، لرغبته في ذلك وميله إليه، ثم أنشأ قريباً من مجلسه خزانة كتب جمع فيها أنواع العلوم على اختلافها وانتخب فيها خطوط المشايخ والعلماء والكتاب (ابن الفوطي، ١٣٥١، ص ٥٦)، ومن اهم المراكز العمرانية في عهده:

أولاً: بناء قبة الكاظمين سنة (٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥ م) في خلال حكم الخليفة الظاهر القصير الأمد التهمت النيران قبة الكاظمين، فبدأ الخليفة بإعادة بنائها، غير أنَّ المنية عاجلته في السنة التالية، فأتم ابنه المستنصر الذي تولى الخلافة بعده عمل أبيه (القزويني، ١٩٦٠، ص ١٤). وفي سنة

(٦٢٤ هـ) أمر بعمل صندوق من الخشب للإمام موسى بن جعفر عليه أنفس النقوش الزخرفية، والكتابات، كما أجرى توسيعات للمشهد الكاظمي (ابن الكازروني، ١٩٧٠، ص ٨٩).

ثانياً: المدارس

أ.بناء المدرسة المستنصرية: ومن أهم اعماله الثقافية العمرانية مباشرته سنة (٦٢٥ هـ/ ١٢٢٧ م) ببناء المدرسة المستنصرية على شاطئ دجلة، مما يلي دار الخلافة وحشد لها البنائين والفنيين استمر العمل فيها بجد لمدة ست سنوات بلغت النفقة عليها خلالها سبعمائة الف دينار (أمين، حسين، ١٩٦٠، ص ٤٣) وهو مبلغ ضخم اذا عرفنا القوة الشرائية للدينار آنذاك إذ كان راتب الموظف إثني عشر ديناراً (بشار الدين معروف، ١٩٨٤، ص ٢٣) وافتتحت هذه المدرسة في الخامس من شهر رجب سنة (٦٣١ هـ/ ١٢٣٣ م) اي قبل اتمام العمل فيها بسنتين وكان هذا التاريخ بداية التدريس فيها (خليفة ، حسن، ١٩٧٤، ص ٨٠)وتدل الكتابة الموجودة على واجهة صحن المدرسة كتابة دونت في واجهة المدخل نصها" أنشأ هذه المدرسة رغبة في أنَّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وطلب للفوز بجنات الفردوس التي أعدها للذين أمنوا وعملوا الصالحات نزلاً وأمر أن تجعل مدرسة للفقهاء على المذاهب الأربعة سيدنا ومولانا امام المسلمين وخليفة رب العالمين أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين شيد الله تعالى معالم الدين بخلود سلطانه وحيا قلوب أهل العلم بتضاعف نعمه واحسانه وذلك في سنة ثلاثين وستمائة، وصلى الله على سيدنا محمد النبي واله " (الدروبي، إبراهيم عبد الغني، ١٩٥٨، ص ٥١)وكتابة أخرى قائمة في واجهة المبنى المطل على شاطئ دجلة نصها: ما شاء الله بسم الله الرحمن الرحيم ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون قد كان انشئ هذا البناء في أيام خلافة عبد الله أبي جعفر المنصور المستنصر بالله العباسي في ثلاثين وستمائة أن بناء الجزء الأكبر من المدينة في سنة (٦٣٠ هـ) في حين تؤكد المراجع العربية والمصادر الاجنبية أنها تمت في سنة (٦٣١ هـ / ١٢٣٤ م) واستمر العمل في اكمال المرافق الاخرى التابعة لها الى عام (٦٣٣ هـ/ ١٢٣٦ م) إذ اكتمل بناء جناح الطب (لسترانج، غي، ١٩٣٦، ص ١٧) " أتفق المؤرخون على وصف هذه المدرسة وذكروا جميعا انها كانت في غاية التطور، واتفقوا على أنها لم تكن مدرسة أو كلية عادية مثل غيرها من المعاهد المشهورة قبلها أو في عصرها، بل كانت بمثابة جامعة تضم مدرسة الفقه على المذاهب الاربعة، كما تضم دار القرآن ودار الحديث ومدرسة الطب والمكتبة فضلا عن تدريس مواد الادب العربي والعلوم الرياضية فيها.وشكل المدرسة على العموم مستطيل، تكون مساحتها بالإجمالي حوالي (٤٨٣٦ م ٢) ويتوسط المدينة صحن فسيح مستطيل الشكل، وقد روعي في التصميم ان تكون المرافق من الغرف والأواني والأروقة والمسجد والحمام وخزانة الكتب كلها تحيط بالصحن، والمدرسة تتكون من طابقين في كل طابق غرف كبيرة وغرف صغيرة، فهناك اثنتا عشر غرفة تصلح أن تكون مواضع للدرس أو خزائن المكتب، أما الغرف الصغيرة فهناك ٣٩ غرفة في الدور الأول ومثلها في الدور الثاني (عواد، كوركيس، ١٩٤٥/ ص ١٢)ويورد المستشرق غي لسترانج وصف المدرسة المستنصرية والغاية من تأسيسها أنَّ تحل محل المدرسة النظامية المشهورة وتقضي على مكانتها، وهذه المدرسة كان قد أسسها نظام الملك قبل هذا العهد بنحو قرنين تقريبا وروي ان المستنصرية فاقت كل ما سبق في الإسلام من حيث مظهرها الخارجي وابهة زخرفها وفخامة اثاثها وسعة مساحتها وغنى اوقافها، وكان فيها أربعة اواوين لتدريس الفقه لكل مذهب من المذاهب، وعلى كل ايوان أستاذ له خمسة وسبعون طالبا (فقيها) يعلمهم ويفقهم مجاناً. ولكل استاذ من الاساتذة الأربعة مرتب شهري، وللطالب دينار ذهب وكان مجموع الطلاب ثلاثمائة طالب، وفي المدرسة مطبخ يقدم الخبز واللحم الى منتسبيها يومياً، وروي ابن الفرات" ان في هذه المدرسة داراً للكتب فيها كتب نفيسة ونادرة في مختلف العلوم والفنون مرتبة ومبوبة حسب فنونها ليسهل على القراء الاطلاع عليها بسهولة. إذا اراد أحدهم نسخ بعض مخطوطاتها فأن الموظفين كانوا يمدونه بما يحتاج اليه من الاقلام والورق وجهزت المدرسة طلابها بالقناديل والزيت. وكان فيها مزملة للماء البارد العذب وفي الموضع المظل ساعة تعلن عن اوقات الصلاة وتشير إلى مرور الساعات ليل نهار وكان في المدرسة حمام خاص بالطلاب وبيمارستان فيه طبيب حاذق، يزور المرضى كل صباح ويصف لهم العلاج، ومخازن لخزن الطعام والشراب والأدوية وكان المستنصر مولعاً بهذا المعهد فلم يكن يمر يوم دون أن يزوره ويفتشه، وأمر بعمل بستان خاص به، جعل فيه منظرة تطل على المدرسة، وكان من عادته، يأتي اليها ويسلي نفسه، فيجلس في شباك – عليه ستار – يشرف على أحد اواوين المدرسة، فيشاهد ويراقب ما يجري فيها، ويسمع محاضرات الاساتذة ومناظرات التلاميذ (مكية، محمد، ٢٠٠٥، ص ٧٢) ثم جعل فيها خزانة الكتب ونقل اليها الكتب النفيسة وشرط أن يكون في دار الكتب عشرة يشتغلون بعلم الحديث (مصطفى جواد، احمد سوسة، ١٩٥٨، ص ٤٨)، ويزيد صاحب الحوادث الجامعة، أن قد نقل اليها الكتب وكانت تحتوي على العلوم الدينية والادبية مما حمله مائة وستون حمالاً وجعلت في خزانة الكتب، وتقدم الشيخ عبد العزيز شيخ رباط الحرم بالحضور بالمدرسة، واثبات الكتب واعتبارها، والى ولده العدل ضياء الدين احمد الخازن بخزانة كتب الخليفة التي في داره أيضاً فحضر واعتبرها ورتبها أحسن ترتيب مفصلاً لفنونها ليسهل تناولها (مصطفى

جواد، احمد سوسة، ١٩٥٨، ص٥٠)ومن مرافق هذه المدرسة (دار القرآن) وكانت هذه تقع في الجهة الشمالية الشرقية. أما في شروط هذه الدار فيقول صاحب الذهب المسبوك ما نصه: وإلى جانب هذه المدرسة دار برسم تلقين القرآن يجمع ثلاثين صبياً يتيماً يتلقنون القرآن من شيخ ملقن لهم معيد يتقن التلقين، ثم شرط فيها أيضاً أنَّ يكون فيها من يشتغل لعلم العربية وكذا من يشتغل بعلم الحساب والفرائض (بشار، ١٩٨٤، ص ٢٧)وكانت للمستنصرية مدرسة داخلية، وفيها حمام للطلبة يستحمون به وهناك (مزملة) يقضي الطلاب حاجتهم منها للشرب والغسيل. وكان للمدرسة مطبخ ولها حديقة يقال لها البستان، كان المستنصر يتخذه مكان نزهة له يشاهد منه المدرسة ويرقب احوالها التدريسية كانت تزين المدرسة ساعة عجيبة الصنع. وسميت عجيبة لانها تختلف عن بقية الساعات في طريقة عملها حيث كانت تظهر في النهار شمسا منقوشة فيها. وفي الليل تظلم ويظهر فيها أقمار مع اضويه تشبه ضياء القمر في الليل. واقيمت تلك الساعة في اعلى باب المستنصرية لتدل على تفوق ومستوى عصر المستنصر العلمي والفني ولصناعة تلك الساعة ووضعها هناك هدفين الاول لارشاد الناس الى اوقات الصلاة وثانيها لبيان قدرة القوم وما وصلوا اليه من علم ومدنية (بشار، ١٩٨٤، ٣٦).ومن اقسام المدرسة المهمة، المخزن حيث تخزن فيه مهمات المدرسة وحاجياتها ومستلزماتها من الورق والاقلام والحبر والزيت والمصابيح والملابس والصابون وادوات الاكل والنوم (القزويني، ١٩٦٠، ص ١٠٨).

ب.المدرسة الشرابية: وهي من أشهر المدارس في بغداد. شيدت في العصر العباسي، وكانت تقع في الجانب الشرقي، وتحديداً في سوق السلطان. قام ببناها "شمس الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد"، وكيل الخليفة المستنصر بالله في عا٦٢٨ هـ، على ضفة نهر دجلة في جانب بغداد الشرقي (القزويني، ١٩٦٠، ص ٣٥).تحتل هذه المدرسة شكلاً مستطيلاً يتوسطه صحن مربع الشكل تقريباً تحيط به مرافق المدرسة، ففي جهتها القبلية يقع ما يرجح انه مسجد المدرسة يقابله في الجهة الشمالية إيوان كبير يبلغ ارتفاعه نحو ٩ أمتار يعلوه قبو مدبب وعلى كل من جانبي الإيوان حجرتان تعلوهما في الطابق الأول غرفتان. أما الجهة الغربية من الصحن فتتكون من تسع حجرات صغيرة تعلوها تسع غرف يتقدمها رواق جميل، أما الجهة الشرقية من الصحن فهي شبيهة بالجهة الغربية إلا إن عدد حجراتها سبع ويتقدمها رواق شبيه بالرواق المقابل وهو مسقف بسقف جميل يتألف من دلايات مزخرفة بزخارف نباتية وهندسية تبدو للمشاهد على هيئة غابة من سعف النخيل. أما مدخل المدرسة فيقع في الواجهة الجنوبية المطلة على نهر دجلة (أمين، ١٩٦٠، ص ٤٦) وتتشابه زخارف هذه المدرسة مع زخارف المدرسة المستنصرية إلا أنها تمتاز بتنوعها وإبداعها إذ تتكون من قطع آجريه مختلفة الإحجام على هيئة أشكال رباعية وخماسية وسداسية وثمانية وذات عشرة أضلاع واثنا عشر ضلعاً زينت بواطنها بزخارف هندسية ونباتية متنوعة جمعت مع بعضها لتكون الزخرفة المطلوبة وأجمل ما يتجلى ذلك في المقرنصات التي تزين الإيوان الصغير المواجه للمدخل الرئيسي والمقرنصات التي تزين الأروقة وعقودها المطلة على الصحن (عواد، ١٩٤٥، ص ٩٠).

ثالثاً: المساجد

أ.**جامع قمرية:** هو من مساجد بغداد التاريخية التراثية القديمة، وشيد وبني في عهد الخليفة العباسي المستنصر بالله وأسماه قمرية نسبة إلى (قمرية خاتون)، وهي أمرأه من أسرة الناصر لدين الله ، ويقع هذا المسجد الجامع في جانب الكرخ من مدينة بغداد، وعلى ضفاف نهر دجلة، وتبلغ مساحته ٢٠٠٠ ٢ م ، ويحوي الحرم مصلى واسع يسع أكثر من ٤٠٠ مصل، وبني فيه منارة مئذنة من الآجر والجص، ويعلو بنيانه ستة قباب، رفيعة السمك، وجدد بناء هذا الجامع أيام مماليك العراق، ولم يبقَ من بناء الجامع العتيق إلا منارة المئذنة القليلة الزخارف وفي حوضها آثار البناء القديم (مكية، م، ٢٠٠٥، ص ٨٧).

ب.**جامع القصر:** وقد جدد الخليفة المستنصر أيضاً جامع القصر واقام أربع دكات على الجهة اليمنى أو الغربية من المنبر حيث كان يجلس تلاميذ المستنصرية في أيام الجمعة فيتناظرون بعد أداء فريضة الصلاة، ولازالت بقايا هذا الجامع موجودة الى اليوم في السوق المعروفة بسوق الغزل على مسافة قليلة شرق بقايا المدرسة(مكية، م، ٢٠٠٥، ص ٧٦).

رابعاً: دور الضيافةوفي سنة (٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م) وفي شهر رمضان منها "افتحت دور الضيافة بجانبي مدينة السلام جرياً على العادة في كل سنة وزيد فيها داران أحدهما بدار الخلافة لأبناء الخلفاء المقيمين بدار الشجرة والاخرى بخربة ابن جردة للفقراء الهاشميين (الدروبي، إ. ع. غ.، ١٩٥٨، ص ٧٠).

خامساً: السدود والزراعةكما شيدت الخلافة العباسية سدا يقع الى جنوب من مدينة سامراء عرف بسد نمرود، يأخذ مياهه من نهر دجلة جنوب سامراء ثم يسير باتجاه الجنوب الشرقي يصب في نهر دجلة جنوب مدينة بغداد ، هذه خطة ذكية من الخلفاء العباسيين لحماية مدينة بغداد والتي كانت غالبا ما تتعرض الى مثل هذه الفيضانات ، وفي خلافة المستنصر بالله تم اصلاح سد ديالى والعظيم، وفي سنة(٦٤٣هـ/١٢٤٥)، أمر الخليفة المستنصر بالله تم ببناء سد على فم نهر عيسى مما يلي دجلة، ليزداد فيه الماء من دجلة كما قام بتحسين شؤون الزراعة والري في منطقة

شمال بغداد، إذ أمر بحفر نهر آخر يأخذ مائه من نهر الدجيل، وسماه بالدجيل المستنصر وبنى عليه قنطرة عرفت باسم جسر حربي عند مدينة حربي في الجانب الغربي من مدينة بغداد، وقد ذكر أبو دجلة بين سامراء وبغداد، وذلك في سنة الفداء (لسترانج، غ.، ١٩٣٦، ص ٢٥). يوجد في جنوب العراق وفي منطقة البصرة وحدها، ما يزيد على مئة ألف نهر، ويقصد بها القنوات الإروائية التي كانت تتكفل بها الدولة والناس من أجل إدامة الزراعة في جنوب العراق، لما لهذه المنطقة من أهمية في واردات العراق، فضال عن الاكتفاء الذاتي الذي تحققه هذه المنطقة للعراق على وجه الخصوص. ونتيجة لما كان يعانيه سكان العراق على وجه العموم، وبغداد على وجه الخصوص فقد تم الاهتمام ببناء السدود على ضفاف الأنهار وتحصينها بين فترة وأخرى، وقد اشار احمد سوسة في معرض حديثه عن السدود شرقي بغداد، فوجد أن هنالك سدين قائمين على نهر ديالي في مضيق جبل حمرين قرب مدينة الصدور حاليا في محافظة ديالى، مما يؤكد أن هذين السدين كانا قيد الاستخدام او ان أحدهما قد بني بعد تهدم السد الآخر، أو أن الأثنان معا كان كل منهما يحمي الآخر (جواد، م.، وسوسة، أ، ١٩٥٨، ص ٢٥٦).

سادساً: الإصلاح النقديومن جملة الاصلاحات التي قام بها المستنصر بالله في سنة ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٥م الاصلاح النقدي، إذ أمر بسك الدراهم الفضية ليتم التعامل بها بدلاً عن استخدام الذهب، فجلس الوزير واحضر الولاة والتجار والصيارفة، وقال الوزير" قد رسم مولانا أمير المؤمنين لمعاملتكم بهذه الدراهم، عوضا عن قراضة الذهب رفقا بكم وانقاذا لكم من التعامل بالحرام من الصرف الربوي، فأعلنوا بالدعاء، ثم اديرت بالعراق، وسعرت كل عشرة بدينار" (ابن الطقطقي، ١٩٦٠، ص ٦٧)

وفاة الخليفةبعد كل هذه الاعمال العمرانية والثقافية وإصلاحاته مرتبة ترتيباً زمنياً طبقاً للنصوص التاريخية المدونة لحياته. وفي سنة (٦٤٠ هـ/١٥٩٠م)، توفي المستنصر بالله يوم الجمعة عاشر جمادي الأخرة، وقضى في الخلافة نحو سبعة عشر عاماً، وكان جواداً كريماً، وكان لديه عساكر عظيمة لم يستخدم مثلها أبوه ولا جده، وكان ذا همة عالية وأقدام عظيم، وقصدت التتار البلد، فلقيهم واشتبك معهم (السيوطي، ١٩٨٣، ص ٣٩).

الخاتمة

بعد دراستنا لهذا الموضوع توصلنا إلى نتائج عدة منها:

١- تولى الخليفة المستنصر بالله الخلافة في بغداد رجب سنة (٦٢٣هـ/١٢٣٥م). وقد عمل على إقامة العدل بين الرعية، وكرم أهل العلم والدين، وشيد المساجد والمدراس والبيمارستانات وجمع الجيوش لنصرة دين الإسلامي.

٢-بنى الخليفة المستنصر بالله المساجد والربط والمدارس، وأقام منار الدين، وقمع المتمردة، ونشر السنن، وكف الفتن، وحمل الناس على أقوم سنن، وقام بأمر الجهاد أحسن قيام، وجمع الجيوش لنصرة الاسلام، وحفظ الثغور، وأفتتح الحصون.

٣-ومن أهم منجزاته العمرانية بناء قبة الكاظميين وكذلك شيد المدارس ومن أهمها بناء المدرسة المستنصرية التي كانت من أهم أعماله الثقافية والعمرانية وكذلك المدرسة الشرابية التي تعد واحد من أشهر مدارس بغداد

٤-من جملة الاصلاحات التي قام بها المستنصر بالله في سنة ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٥م الإصلاح النقدي أيضاً.

٥- تبين في ضوء هذه الدراسة أنَّ الخليفة المستنصر بالله يعد أحد أشهر الخلفاء في أواخر العصر العباسي وأن عهده يعد نقطة تحول مضيئة في الخلافة اواخر عهدها لاسيما في الجانب العلمي والحضاري عموماً.

٦- اتضح في ضوء الدراسة أن الخليفة المستنصر بالله قد ترك أثراً علمياً طيباً في ضوء المؤسسات العلمية لاسيما المدرسة المستنصرية التي خلدت أسمه في التاريخ الاسلامي الى يومنا هذا.

قائمة المصادر والمراجع

١.ابن الأثير، ١٩٦٥، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر.

٢.ابن الطقطقي، ١٩٦٠ تقريبًا، الفخري في الآداب السلطانية، بيروت.

٣.ابن الفوطي، ١٣٥١ هـ، الحوادث الجامعة في المائة السابعة، بغداد، مطبعة الفرات.

٤.ابن الكازروني، ١٩٧٠، مختصر التاريخ، بغداد.

٥.الأربلي، ١٩٦٤، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، بغداد.

٦.أمين، ١٩٦٠، المدرسة المستنصرية، بغداد، مطبعة شفيق.

٧.بشار، ١٩٨٤، حضارة العراق، بغداد، دار الحرية للطباعة.

٨.جواد وسوسة، ١٩٥٨، دليل خارطة بغداد المفصل، بغداد.

٩.خليفة، ١٩٧٤، الدولة العباسية قيامها وسقوطها، بغداد.

١٠.الدروبي، ١٩٥٨، البغداديون: أخبارهم ومجالسهم، بغداد.

١١.السيوطي، ١٩٨٣، تاريخ الخلفاء، بغداد، مكتبة الشرق الجديد.

١٢.عواد، ١٩٤٥، المدرسة المستنصرية، بغداد، مجلة سومر.

١٣.القزويني، ١٩٦٠، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر.

١٤.لسترانج، ١٩٣٦، بغداد في عهد الخلافة العباسية، بغداد، المطبعة العربية.

١٥.مكية، ٢٠٠٥، بغداد في العصر العباسي، لندن، دار الوراق للنشر.

Recourses

1.Amin, H., 1960 ،*Al-Madrasa al-Mustansiriyya* ،Baghdad ،Shafiq Press

2.Bashar, M., 1984 ،*Hadarat al-Iraq* ،Baghdad ،Dar al-Hurriya

3.Ibn al-Athir, Izz al-Din, 1965 ،*Al-Kamil fi al-Tarikh* ،Beirut ،Dar Sader

4.Ibn al-Fuwati, Kamal al-Din Abd al-Razzaq, 1351 هـ، *Al-Hawadith al-Jami'a fi al-Mi'a al-Sabi'a* ،Baghdad ، Al-Furat Press

5.Ibn al-Kazaruni, Zahir al-Din Ali, 1970 ،*Mukhtasar al-Tarikh* ،Baghdad ،Baghdad Press

6.Ibn al-Tiqtaqa, Muhammad ibn Ali, 1960 ،تقريبًا *Al-Fakhri fi al-Adab al-Sultaniyya* ،Beirut ،Beirut Press

7.Al-Arbili, Abd al-Rahman Sumbat, 1964 ،*Khulasat al-Dhahab al-Masbuk* ،Baghdad ،Baghdad Press

8.Al-Durubi, Ibrahim Abd al-Ghani, 1958 ،*Al-Baghdadiyun: Akhbaruhum wa Majalisuhum* ،Baghdad ،Baghdad Press

9.Al-Qazwini, Zakariya ibn Muhammad, 1960 ،*Athar al-Bilad wa Akhbar al-'Ibad* ،Beirut ،Dar Sader

10.Al-Suyuti, Jalal al-Din, 1983 ،*Tarikh al-Khulafa'* ،Baghdad ،Al-Sharq al-Jadid Library

11.Le Strange, G., 1936 ،*Baghdad During the Abbasid Caliphate* ،Baghdad ،The Arabic Press

12.Khalifa, H., 1974 ،*Al-Dawla al-Abbasiyya: Qiyamuha wa Suqutuha* ،Baghdad ،Baghdad Press

13.Makkiya, Muhammad, 2005 ،*Baghdad fi al-'Asr al-Abbasi* ،London ،Al-Warraq Publishing

14.Awwad, Korkis, 1945 ،*Al-Madrasa al-Mustansiriyya* ،Baghdad ،Sumer Journal

15.Jawad, Mustafa & Susa, Ahmed, 1958 ،*Dalil Kharitat Baghdad al-Mufassal* ،Baghdad ،Baghdad Press